

اجتهادات ليست عقدة ذنب

لا يصمد تبرير مشاركة حكومات دول غربية كبرى فى العدوان الهمجى على قطاع غزة استنادًا إلى ما يُعرف منذ عقود بعقدة الذنب نتيجة ما حدث لبعض اليهود فى الحرب العالمية الثانية. فإن افترضنا أنه كان هناك شعور بالذنب فعلاً، وهو ما لا يجوز استبعاده فى حينه، فليس منطقيًا أن يبقى نحو ثمانية عقود كاملة. والأهم أنه لم ينقص خلال هذه الفترة الطويلة جدًّا، التى تغير فيها العالم، وتبدلت أنماط حياة البشر، أكثر من مرة.

لقد فَعَلَ من يُقال إن لديهم عقدة ذنب الكثير، والكثير جدًّا، لتعويض من يُروى أنهم ضحايا. وفعلوا أكثر أفعالهم هذه على حساب شعبٍ لا علاقة له بأيِّ مما يتصل بموضوع الذنب المزعوم. وهذا يكفى لتخفيف الشعور بالذنب تدريجيًّا، إلى أن يصبح الفعل الذى استهدف تعويض من يُفترض أنهم الضحية مساويًا لما حدث لهم،

فما بالك وقد بلغ هذا الفعل مبالغ مهولةً يتجاوز بعضها الخيال.

ولهذا أصبح ضروريًا التساؤل عن حقيقة ما أُطلق عليها عقدة ذنب يُتذرّع بها لارتكاب جرائم تفوق بكثير الجريمة التي يُزعم أنها مازالت تُورّق ضمائر المُتذرّعين بها. وهنا بيت القصيد. فالشعور بالذنب يتطلب ضميرًا حيًا لا يستطيع أن يقبل ظلمًا أو جورًا. فهل لدى المُتذرّعين بعقدة الذنب «الهولوكوستية» شيء من هذا الضمير، وهم الذين لم يتركوا ظلمًا إلا اقتترفوه، ولا جريمة إلا ارتكبوها، دون أن يرمش لهم جفن. أصحاب الضمائر الميتة لا يشعرون بذنب تحت أى ظرف، وليس لديهم إحساس بشئ من الأصل. فكيف، إذن، يشعر فاقد الشعور بذنب، بل يصل هذا الشعور إلى مستوى اصطُح على تسميته عقدة ذنب؟

ولكن هل يحتاج التأكد من زيف عقدة الذنب تجاه اليهود هذا التأصيل، فيما تاريخ المُتذرّعين بها حافلٌ بجرائم أبشع مثل إبادة السكان الأصليين فى أمريكا، والمذابح التي ارتكبتها ألمانيا فى ناميبيا أوائل القرن الماضى؟

ما عقدة الذنب المزعومة، إذن، إلا غطاءً لسياساتٍ
استعمارية وعنصرية يحفلُ بها تاريخ المُتذرعين بها
وحاضرُهم. وما هؤلاء المُتذرعون إلا المجرمون الأشد
إجرامًا في التاريخ.